The Verbal in AL- Anfal Surah Criculation Reading

Hussein Jaafer Aubeid
Directorate General of Education in Babil, Babil, Iraq
mojtb471@gamil.com

Submission date: 3/10/2018 **Acceptance date**: 15/11/2018 **Publication date**: 8 /1/2019

Abstract

The linguistic lesson of deliberation has determined that the analysis of the verbal event has gone beyond dealing with traditional linguistic components to non-linguistic elements (rhetorical, behavioral, social, intellectual, and ideological). Hence, The wall of jihad and the many acts of demand that urge jihad and the need to adhere to the limits of God Almighty.

The research also investigates the structure of verbal action in the light of the Qur'anic text, its components, its types, purposes, and levels, and attempts to show that deliberation is concerned with studying the language in light of its use, without neglecting the meaning that is determined in the context of the context. The research revealed that most of the verses of the Anfal were received for the purpose of intimidation, intimidation, intimidation, fear and fear. Moreover, many verses were mentioned in a context whose purpose was to encourage piety and obedience and reach the highest level of piety and goodness and obedience to Allah and His Messenger.

Key words: Deliberation, direct verbal action, indirect verbal action, news, guidance

الفِعْلُ الكَلامِيُّ فِي سُورَةِ الأَنْفَالِ
قِرَاءَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ

حسين جعفر عبيد
المديرية العامة لتربية بابل، بابل، العراق

الخلاصة:

استقرّ الدرس اللساني التداوليّ على أنّ تحليل الحدث الكلاميّ قد تجاوز التعاطيّ مع المكونات اللسانيّة التقليديّة إلى عناصر غير لغويّة (بلاغيّة، وسلوكيّة، واجتماعيّة، وفكريّة، وايدلوجيّة)، من هنا حاول البحث أنْ يتناوشَ سورةً من سورِ القرآن الكريم (سورة الأنفال) التي تُعَدُّ من سور الجهاد وفيها الكثير من الأفعال الطلبيّة التي تحثُّ على الجهاد ولزوم التمسّك بحدود الله عزّ وجلّ.

كذلك بينّ البحث معرفة بنية الفعل الكلاميّ في ضوء النّصّ القرآني ومكوناته وتحديد أنواعه، وأغراضه، ومستوياته، ومحاولة إظهار أنّ التداوليّة تهتم بدراسة اللغة في ضوء استعمالها، دون أنْ يُهمِلَ المعنى الذي يتحدد في ضوء السياق المقامي وتركّز على عناصر العمليّة التبليغيّة. وكشف البحث أنّ أكثر آيات سورة الأنفال وردت بغرض التهديد والوعيد والترهيب والفزع والخوف، زيادة على ذلك وردت آيات كثيرة بسياق كان الغرض منه الحث على التقوى والطاعة والوصول إلى أعلى مراقي التقوى والصلاح وإطاعة الله ورسوله.

الكلمات الدالة: التداوليّة، الفعل الكلامي المباشر، الفعل الكلاميّ غير المباشر، الإخباريّات، التوجيهيات.

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

1. المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أفضلِ الخلقِ أجمعينَ محمدٍ وآلهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أمّا بعدُ

فقد استقرّ الدرس اللساني التداوليّ على أنّ تحليل الحدث الكلاميّ قد تجاوز التعاطيّ مع المكونات اللسانيّة التقليديّة إلى عناصر غير لغويّة (بلاغيّة، وسلوكيّة، واجتماعيّة، وفكريّة، وايدلوجيّة)، والتداوليّة في اللسانيّات وفي فلسفة اللغة العلم الذي يُعنَى بدراسة استعمال اللغة في مجال التواصل بين مستعمليها ومتلقّيها، فالتداوليّة تدرسُ العلاقةُ بين النشاط اللغوي والمستعملين.

من هنا حاول البحث أنْ يتناوشَ سورةً من سورِ القرآن الكريم (سورة الأنفال) التي تُعَدُّ من سور الجهاد وفيها الكثير من الأفعال الطلبيّة التي تحثُّ على الجهاد ولزوم التمسّك بحدود الله (عزّ وجلّ)، وذلك في ضوء دراسة الأفعال الكلاميّة التي تمثل محور النظريّة التداوليّة، وبابًا وسيعًا من أبواب التواصل والحوار والإبانة في هذه النظرية التي تحاول الجمع بين التركيب والدلالة والسياق، وتعمل على استثمار الظروف المحيطة في توضيح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب، وتعمل- كذلك- على أنْ يكونَ المخاطَبُ شريكًا فاعلًا في تحديد الدلالة.

ائتلف البحث من مبحثين سبقهما تمهيدٌ، وتلاهما خاتمةٌ ثُمَّ قائمةٌ بمصادرِ البحث ومراجعه.

أمّا التمهيد، فتناول نشأة التداوليّة وتطورّها وتقسيماتها، فيما كان نصيبُ المبحث الأول بيان مفهوم التداوليّة في اللغة والاصطلاح، وبيان الأفعال الكلاميّة، وتقسيم أوستن وسيرل للأفعال الكلاميّة، وشروط نجاحها. وأمّا المبحث الثاني، فخُصِّصَ بدراسة الأفعال الكلاميّة في سورة الأنفال مقسِّمًا إيّاه إلى أفعال كلاميّة مباشرة، وأفعال كلاميّة غير مباشرة، ثم خاتمة تضمّنت ما توصّل إليه البحث من نتائج، بعدها قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

والحمد لله ربّ العالمين

2. التمهيد:مفهوم التّداوليّة تعريفًا

قبل الخوض في تقسيم الأفعال الكلاميّة لابُدّ لنا من بيانٍ لمفهوم التداوليّة في اللغة والاصطلاح:

2. 1. في اللغة

التداولية تعني في مفهومها التحوّل من مكان إلى مكانٍ، قال ابن فارس: الدال والواو واللام أصلان: أحدُهما يدلُّ على تحوُّلِ شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضَعْفٍ واسترخاء، أمَّا الأوَّل فقال أهل اللغة: انْدَالَ القومُ، إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تداولَ القومُ الشّيءَ بينَهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان. ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنَّما سُمِّيا بذلك من قياس الباب؛ لأنّه أمرٌ يتداولُونه، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا [314/2،1].

وقد أفاد اللغويون من المعجم القرآني في استشراف دلالات تصريفات هذه المادة ولا سيّما (التداوليّة) ومن الشواهد القرآنية التي وردت فيها التداوليّة بمعناها اللغوي، قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ** ﴾[البقرة: 188]، وقوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران من الآية: 140]، وكذلك قول تعالى:﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ**﴾ [الحشر من الآية: 7].

يتبيّن من الآيات المباركات المتقدّمات أنّ التداول يأتي بمعنى التحوّل وعدم الثبوت؛ فهي لا تختلف كثيرًا عن معناها اللغوي، إذ يُفهَم منها انتقال الملك، والتعاقب والتناوب على أمرٍ ما.

2. 2. في الاصطلاح

يعود أقدم التعريفات التي قُدِّمت للتداوليّة إلى شارلز موريس عام 1938م دالًّا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها: علم العلامات أو السيميّة؛ وهي علم التركيب، وعلم الدلالة، والتداوليّة [2، 9]، وهي فرع لسانيّ يُعنى بدراسة التواصل بين المتكلّم والمتلقيّ، أو بمعنًى آخر يُعنى بدراسة الرموز التي يستعملها المتكلِّم في عمليّة التواصل، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معيّنة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق حاله، أثر العلاقة بين المتكلِّم والمخاطب في الكلام[3،390].

إنّ الإفادة من المنهج التداوليّ الحديث في تجلِّي أنواع الخطاب المختلفة تقود إلى الوعي بالذات في ضوء فهم أفضل للتراث، ومن هنا فإنّ الحديث عن علاقة التداوليّات بتحليل الخطاب يتطلّب تعرّف أصول التداوليّة في الفكر اللسانيّ الحديث[4،67].

وخلاصة القول: إنّ التداولية ليست علمًا لغويًا محضًا، بالمعنى التقليدي يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنّها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال استعمالها، ويدرج من ثمّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، والحديث عنها وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلامات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة؛ لأنّها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الانتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية بظروف الاستعمال [5،16].

ومهما يكن من أمرٍ فيمكن إجمال ما تقدّم بالقول: إنّ التداولية منهج في تحليل الخطاب تبحث عن كل ما من شأنه أن يقرّب الفهم والتواصل بين المتكلم والسامع.

التّداوليّة: نشأتُها وتطوُّرُها

يعود مصطلح التداولية بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس) إذ استعمله أوّل مرة في العام 1938م [2، 9].

توافق ظهور التداولية مع نشأة العلوم المعرفية، فحينما اتخذ علم النفس في بدء القرن العشرين – وفي أميركا على وجه الخصوص– وجهته السلوكية المتأثرة بفلسفة العقل والذكاء الاصطناعي، التي مفادها أنّ تعلّم اللغة يخضع لثنائية (التأثير والاستجابة). ويرفض علم النفس السلوكي– الموغل في التجربة– التسليم بوجود أشياء غير قابلة للملاحظة، كالحالات الذهنية المستقاة من تجارب علماء النفس على الحيوانات بتعليمها بعض الأمور البسيطة وتعديل سلوكياتها المعرفية حين الاستجابة بتعزيز أو تكييف وردًّا على السلوكيين ظهرت التداولية مع بقية العلوم علمًا يبحث في كيفيّة اشتغال العقل البشري، وكيف يكتسب المعارف ويستعملها ويطورها [6، 28].

وكانت الفلسفة التحليلية بمثابة الأرض التي نبتت فيها التداولية، وظهر هذا الاتجاه الفلسفي على يد الألماني فريجه وذلك في النصف الثاني من القرن العشرين في فينّا حين ظهر كتابه (مبادئ علم الحساب) وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به فريجه عدد من الفلاسفة منهم: هوسير، وكارناب، وفيتجنشتين، وأوستن، وسيرل، فقد أجرى فيه بعض التحليلات اللغوية التي مثلت المبادئ الأولى لهذا الاتجاه، إذ يرى هؤلاء الفلاسفة أنّ فهم الانسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبّر له عن هذا الفهم[5، 21].

والتداولية لم تصبح اتجاهًا يعتدّ به في الدرس اللغوي إلّا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة هم: أوستن، وسيرل، وغرايس[2، 9]، ويبدو ذلك جليًّا في الآراء التي اعتمدها أوستن في كتابه (كيف تنجز الاشياء بالكلام) إذ كان له شأن كبير في تطور الاتجاه التداولي، ولا سيما نظرية أفعال الكلام.

قام سيرل بتنظيم أفكار استاذه أوستن فطوّر نظرية أفعال الكلام في ضوء الاهتمام بالقوى الإنجازية المتضمنة في القول، ويظهر ذلك في كتابه (أفعال الكلام) الذي ظهر عام 1969م. ثمّ بدأ الاهتمام يتمحور بالدرجة الأولى على الدراسات العملية في تحليل المحادثة التي قام بها غرايس في العام 1975م والتي أسهمت في تطور الدرس التداولي[15،7]،[22،5].

على أنّ بعضهم يُرجع نشأة التداولية إلى سنة 1955م عندما ألقى جون أوستين محاضراته في جامعة هارفارد ضمن برنامج محاضرات وليام جايمس[28،6].

ويكاد الباحثون يتفقون على أنّ البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب، وهو ما يعرف بالجهاز المفاهيمي للتداولية، وهذه الجوانب أو المفاهيم هي:

الإشاريات: وهي ألفاظ وتعبيرات تعتمد اعتمادًا تامًا على السياق الذي تستعمل فيه، ولا يمكن إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه، وأغلب الباحثين يرون أنّ الإشاريات خمسة أقسام: شخصية وزمانية ومكانية واجتماعية وخطابية أو نصيّة، على خلاف في الأخيرين[243،2].

الافتراض المسبق: وهو مفهوم إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين التخاطب، تحكمها ظروف الخطاب العامة، كسياق الحال والمقام ونحوه، وهي على قسمين: افتراض مسبق، وقول مضمر[30،5].

الاستلزام الحواري: هو ما يرمي إليه المتكلم بصورة غير مباشرة، جاعلًا المخاطب يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر، ولا يقع الاستلزام إلّا إذا تجاوز المتكلم أحد مبادئ التعاون بين المتكلم والمخاطب، وهي: الكم والكيف والعلاقة والجهة [8،17–19].

الأفعال الكلامية: وهي أهمّ هذه الأقسام، وسيأتي الحديث عنها لاحقًا.

وفي ضوء ذلك قُسّمت التداولية على ثلاثة أقسام أو مراتب أو درجات على النحو الآتي:[9،50–51]،[10، 22–23].

أولًا: تداولية الدرجة الأولى:

تختص بدراسة الرموز الإشارية، مثل (أنا، هنا، الآن) والتي تتجلى في الأقوال وتتضح مرجعيّتها في سياق الحديث ولا تتحدد إحالات هذه الرموز إلّا في ضوء السياق الذي ترد فيه، وتتبدّى أكثر في إطار العلاقة بين المخاطبين والزّمان والمكان، وتختلف إحالاتها حسب ظروف استعمالها.

ثانيًا: تداولية الدرجة الثانية:

تهتم بدراسة الدلالة الضمنية للمقول بتجاوز المعنى الحرفي، وفي هذا المستوى يتم توسيع مفهوم السياق من سياق المواضعة وكشف الإحالات والمنفذين إلى السياق المتعارف عليه عند المخاطبين، للوقوف على كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى مستوى التلميح.

ثالثًا: تداولية الدرجة الثالثة:

تختص هذه الدرجة بدراسة الأفعال الكلامية، وتنطلق من مسلّمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة ضمن محددات تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية، وتختلف هذه الأبعاد حسب الأغراض التي تتحقق من الإنجاز اللغوي، ويتعلق الأمر بمعرفة ما تمّ إنجازه وفق استعمال اللغة في وضعية تواصلية معينة.

3. المبحث الأول: تقسيم أوستن وسيرل للأفعال الكلاميّة

الأفعال الكلاميّة

تُعد الأفعال الكلاميّة من أبرز المفاهيم التداوليّة حضورًا في التحليل التداوليّ للخطاب، وهي أقوالٌ تُؤدى بها أفعال ، فبها يمكن للمرء أنْ ينجز أفعالًا بواسطة اللغة، نحو: أزوّجك ابنتي؛ فبمجرد التلفظ بالقول تصير الإبنة زوجةً ؛ ومن ثمَّ يحدث فعل كلاميّ [11،83]،[12،41].

وعمد أوستن إلى تقسيم الأفعال الكلاميّة إلى نوعين [6،30-31]،[12، 41-42]:

1- أفعال إخباريّة (تقريريّة): وهي أفعال تصف حقائق العالم الخارجي، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، نحو: (السماء تمطر) فهي تنقل معلومة إلى المتلقّي أو تُقرّر واقعًا، وتوصف بالصدق إذا كان المطر حادثًا، كما تُصَف بالكذب إذا كان المطرُ غيرَ حادثٍ. وقد سمّى أوستن الجمل التي تحتوي على هذا النوع من الأفعال بـ(الجمل الوصفيّة) التي تصف حدثًا أو حالةً معينة من دون حصول فعل.

2- أفعال إنشائيّة (أدائية): تُؤدى بها أفعال في ظروف ملائمة، ولا تُوصَف بصدقٍ ولا كذبٍ، وإنّما تكون ناجحة، أو غير ناجحة، طبقًا لمعيار المواءمة والمخالفة، وكون المتكلّم مؤهلًا للقيام بالفعل، نحو: (أوصي بساعتي لأخي) فهذا المنطوق لا يؤدي إلى قول فحسب، وإنّما يؤدي إلى وقوع فعل هو الوصيّة، ويدخل فيها (التسمية، والاعتذار، والرهان، والنصح، والإرشاد).

غير أنّ أوستن رأى أنّ هذا التقسيم ليس حاسمًا؛ للتداخل بين المنطوقات الإخباريّة والأدائية، وبعد ممارسة معايير عِدَّة للفصل بين المنطوقين لاحظ أوستن أنّ هناك منطوقات تكون (بين بين)؛ أي تحتمل التقريرية والأدائية طبقًا لملابسات الموقف، والقرائن المحيطة به.

3- قسّم أوستن الأدائيات إلى (أدائيات أوليّة، أو ضمنيّة)، وهي التي لا تحتوي على أفعال أدائيّة، نحو (سأزورك غدًا)، فهو يحتمل الوعد والإخبار، و(أدائيّات ثانويّة، أو صريحة)، وهي التي تشتمل على فعلٍ أدائيّ في صيغة الفعل المضارع المبني للمعلوم المسند إلى المفرد المتكلِّم، نحو (أعدكَ أنْ أزورك غدًا)، ولكنّها ليست شرطًا لازمًا، ولا شرطًا كافيًا للإنشائيات الصريحة، ومن ثُمٍّ عدل أوستن عن نظريّة المنطوقات الأدائيّة الى نظريّة الأفعال الكلاميّة.

تدور نظريّة الأفعال الكلاميّة حول كيفيّة أداء الأفعال بالأقوال، فرأى أوستن أنّ الفعل الكلاميّ مركّبٌ من ثلاثة أقوال[2،68]،[11، 88]:

أ- الفعل اللفظيّ: وهو يتألّف من أصوات لغويّةٍ تنتظم في تركيبٍ نحويٍّ صحيحٍ ينتج عنه معنًى محددٍ وهو المعنى الأصليّ، وله مرجع يُحِيب إليه.

ب- الفعل الإنجازيّ: وهو ما يؤديه الفعل اللفظيّ من معنى إضافيّ يكمن خلف المعنى الأصليّ، أو يُعنى به محاولة المتحدِّث إنجاز غرض تواصليّ معيّن.

ج- الفعل التأثيريّ: ويُقصَد به الأثر الذي يُحدِثهُ الفعل الإنجازيّ في السامع.

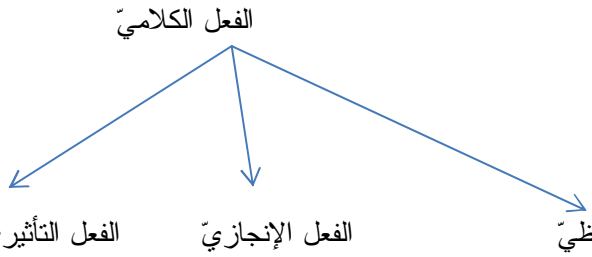

وقد فطن أوستن إلى أنّ الفعل اللفظيّ لا ينعقد الكلام إلّا به، والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعًا، ومن ثُمّ وجّه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي حتى غدا لُبّ هذه النظريّة، فأصبحت تُعرَف به أيضًا؛ وقد اشترط لأدائها أداءً صحيحًا اتفاقها مع العُرْفِ، ومقصد المتكلّم، زيادة على مراعاة شروط أدائها، وكون المتكلّم مؤهلًا لذلك.

خلط أوستن بين معيار القوة الإنجازيّة وبين الغرض الإنجازي، وقد قسّم الأفعال الكلاميّة إلى خمسة أصناف، كما في المخطط الآتي[2،46]:

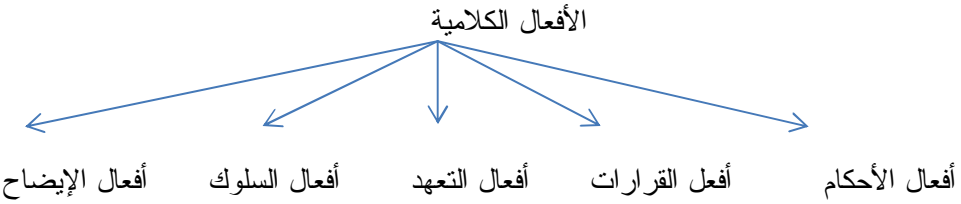

وعلى الرغم من هذا التصنيف الذي يبدو في ظاهره محكمًا غير أنّه يوجد به كثير من جوانب النقص التي وقف عليها أوستن نفسه؛ للتداخل الواقع بين الأصناف بعضها مع بعض، وخلطه الواضح بين مفهوم الفعل قسمًا من اقسام الكلام، والفعل حدثًا اتصاليًّا، لكنّه يرجِع إليه الفضل في توضيح بعض المفهومات المركزيّة في النظريّة، ومن أهمها تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازيّ والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأوّليّ منها، فضلًا عن تحديده للفعل الإنجازيّ الذي يُعدُّ مفهومًا محوريًّا في هذه النظريّة [12، 44].

دور سيرل في نظريّة الأفعال الكلاميّة

إنّ التطوّر الأساس للنظريّة تحقق على يد سيرل فيما يُعرَف بالمرحلة الأساسيّة الثانيّة للنظريّة عندما أعاد النظر في تصنيف الأفعال الغرضيّة عند أوستن ولا سيّما أنّه لاحظ أنّ هناك =صعوبات متعلقة بهذا التصنيف، منها: التداخل الواضح بين بعض فئات الأفعال، وأنّ من الأفعال المُدرَجة في فئات لا تفي بشروط التعريف المُعْطَى للفئة، وعدم وجود مبدأ متين يقوم على أساسه التصنيف فضلًا عن كثيرٍ من الأفعال التي وسمها أوستن بالأفعال الغرضيّة ليست غرضيّة [13، 229–232]، [2،71]، ومن ثُمَّ حاول سيرل تعديل أو معالجة هذه الاعتراضات في ضوء آراء عدّة انطلق فيها من رأي أوستن وتتمثل في ما يأتي [2، 75–79]، [12، 48–49]:

1– قام بتعديل التقسيم الذي قدّمه أوستن للأفعال الكلاميّة يقوم الذي على شروط هي:

أ– المحتوى القضويّ: وذلك بأنْ يكون للكلام معنًى قضوي في ضوء قضيّة تقوم على مرجع متحَدَّث عنه أو متحَدَّث به، ويكون المحتوى القضوي الأصلي للقضية.

ب– الشرط التمهيديّ: ويتحقق إذا كان المتكلِّم قادرًا ولو بوجه من الوجوه على إنجاز الفعل.

ج– شرط الإخلاص: ويتحقق حينما يكون المتكلّم مخلصًا في أداء الفعل.

د- الشرط الأساسيّ: ويتحقق حين يؤثِّر المتكلّم في السامع.

2- صنّف سيرل الأفعال الكلاميّة إلى خمسة أصناف أيضًا مع إجراء بعض التعديلات ، فقسمها على وفق ما يأتي:

أ- **الإخباريا ت:**

الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلّم واقعةً ما (بدرجات متفاوتة) في ضوء قضيّة يُعبِّر بها عن هذه الواقعة. وأفعال هذا الصنف كلّها تحتمل لصدق أو الكذب ويتضمن هذا الصنف أكثر أفعال الإيضاح عند أوستن وكثيرًا من أفعال الأحكام، واتجاه الملاءمة من الكلمات إلى العالم .

ب- **التوجيهيّات:**

غرضها الإنجازي محاولة المتكلّم جعل المستمع أو المخاطب يتصرف بطريقة تجعل تصرّفه متلائمًا مع المحتوى الخبري للتوجيه، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضويّ فيها دائمًا فعل السامع شيئًا في المستقبل. ويدخل في هذا الصنف (الاستفهام، والأمر، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والنصح، والتحدي). والتوجيهيات لا يمكن أنْ تكون صادقة أو كاذبة، وإنّما يمكن أنْ تُطاع، أو تُهمل، أو يُخضع لها، أو تُستَنْكر.

ج- **الالتزاميّات:**

الغرض الإنجازي فيها التزام المتكلِّم بفعل شيءٍ في المستقبل، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائمًا فعل المتكلّم شيئًا في المستقبل، ومن أمثلتها (المواعيد، والنذور، والرهون، والعقود، والضمانات).

د- **التعبيريّات**

وغرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسيّ تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة المتكلّم، فالمتكلّم لا يحاول أنْ يجعل الكلمات تطابق العالم، ولا العالم الخارجيّ يطابق الكلمات، وكلّ ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضيّة، ومن أمثلة التعبيريات (الشكر، والتهنئة، والإعتذار، والتعزية، والترحيب).

ه -**الإعلانيّات**

والسمة المميّزه لهذا الصنف من الأفعال أنّ أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجيّ ، فإذا أديّتُ أنا إعلان الحرب أداءً ناجحًا فالحرب مُعْلَنةٌ، وأهم ما يميّز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأُخر أنّه تُحدِثُ تغييرًا في الوضع القائم، زيادة على أنّها تقتضي عرفًا غير لُغَويٍّ، واتجاه المطابقة فيها قد تكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص.

وقد فرّق أوستن بين الأفعال اللفظيّة والأفعال الإنجازيّة وفرّق بين الأفعال الإنجازيّة الصريحة والأوليّة، ثُمَّ جاء سيرل فحذا حذوه في هذا الاتجاه، وخطا خطوةً أخرى واسعة تتمثل في التمييز بين ما سمّاه الأفعال الإنجازيّة المباشرة وغير المباشرة، أو الحرفيّة وغير الحرفيّة، أو الأوليّة والثانويّة، وأكثرها شيوعًا عنده مصطلح (المباشرة وغير المباشرة) [2، 80].

الأفعال الكلاميّة المباشرة وغير المباشرة عند سيرل

1- الأفعال الكلاميّة المباشرة

هي التي تطابق قوتها الإنجازيّة مراد المُتكلّم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقًا مطابقةً تامةً وحرفيّة لما يريد أنْ يقول، ويمثّل بالمعنى المتحقق من التركيب التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع أنْ يصلَ إلى مراد المتكلّم بإدراكه لهذين العنصرين معًا [6، 32-33].

2- الأفعال الكلاميّة غير المباشرة

وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها لكنّ يمكن أنْ تؤدي وظائف متعددة، منها الأمر، والنهي، والقسم، والحذير، والاستفهام، والشكر والتهنئة، والتمنيّ، وغيرها، وليست اللّغة حسابًا منطقيًّا دقيقًا لكلّ كلمةٍ فيها معنىً محدّد، ولكلّ جملةٍ معنىً ثابتٌ، إذ لا تنتقل من جملة إلّا ما لا يلزم عنها من جملٍ مراعيًا قواعد الاستدلال المنطقي، وإنّما الكلمة تتعدد معانيها بتعدد استعمالنا لها في الحياة اليوميّة، فالأفعال التي تخالف قوّتها الإنجازيّة مراد المتكلّم على نحوٍ غير مباشرٍ في ضوء فعلٍ إنجازيٍّ آخر، فإذا قال أحدهم لصاحبه وهما جالسان إلى المائدة (هل تناولني الملح ؟)، فهو فعل إنجازيّ معناه الحرفيّ الاستفهام، لكنّه غير مُراد في هنا، بل المراد هو طلب مهذّب أنْ يناولك صاحبك الملح [2،51].

ناقش سيرل عددًا من الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة وخاصةً تلك التي تكون استفهامًا مقصودًا به الطلب، وفطنَ لأهم البواعث إلى استعمال الأفعال غير المباشرة هو التأدّب في الحديث، ثُمَّ انتخب التوجيهيّات غير المباشرة أنموذجًا ، فقسَّمها إلى مجموعات بحسب قدرة السامع على أداء الفعل، ورغبته فيه والبواعث إليه، ورغبة المتكلّم أنْ يؤدي السامع فعلًا ما واستجابة السامع له، ولُوحظَ أنّنا نتواصل بالأفعال الإنجازيّة غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازيّة المباشرة، فالأفعال الإنجازيّة التي لا تُستَعمَل إلّا مباشرةً قليلةً جدًا، وهي تقتصر في الغالب على ما يُسَمّى الأفعال المؤسساتيّة أو التشريعيّة؛ كالتوكيل، والتفويض، والوصيّة والتوريث ونحوها؛ لأنّ الأفعال الكلاميّة إنْ استُعْمِلَت هنا غير مباشرة فسوف تُؤدّي إلى اللبس والضياع [2،81-82].

4. المبحث الثاني: الأفعال الكلاميّة المباشرة، وغير المباشرة في سورة الأنفال

سورة الأنفال:

تُسمّى سورة الأنفال بـ(سورة الجهاد) ذلك أنّ فيها الكثير من أوامر أحكام الحرب والحث على جهاد الكافرين، ومدح الذين يجاهدون وإغداق أفضل الأوصاف عليهم فضلًا عن الثناء، كذلك فيها أحكام من يتخلّف عن الجهاد ومحاربة الكفّار والمشركين وتنطوي هذه الأحكام على التهديد والترهيب والوعيد وغيرها، زيادة على ذلك ورد فيها الكثير من الأفعال الطلبيّة، فضلًا عن ذلك فإنّ الخطاب الإنشائي كان طاغيًا على السورةِ المباركةِ، وزيادة على ذلك الحثُّ على الجهاد ولزومِ التمسّك بحدود الله عزّ وجلّ وأوامره، وكذلك تعليمات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه السورة نزلت في غزوة بدر الكبرى، وهي بملابساتها وبما ترتّب عليها في تاريخ الحركة الإسلامية وفي التاريخ البشري جملة تُعَدُّ معلمًا ضخمًا في طريق تلك الحركة وفي طريق هذا التاريخ، وآياتها خمسٌ وسبعونَ آيةً وترتيبها ثامنٌ في المصحف الشريف، وتبدأ بالسؤال عن الأنفال ، قال الفخر الرّازيّ (ت 604هـ) ((اعلم أنّ قوله: (يسئلونك عن الأنفال) يقتضي البحث عن خمسة أشياء، السائل والمسؤول وحقيقة النَّفْل، وكون ذلك السؤال عن أيِّ الأحكام كان، وأنّ المفسرين بأيِّ شيءٍ فسَّروا الأنفال)) [14،15/447]. وتنتهي بتنظيم المجتمع المسلم وتنظيم علاقاته مع المؤمنين المهاجرين

المجاهدين بطبقاتهم و الذين آووَا ونصرُوا وعلاقاته مع الذين آمنوا ولم يهاجروا وعلاقاته مع الذين كفروا، وقد سمّى الله سبحانه يومها (يومَ الْفُرْقانِ) كما أنّه جعلها مفرق الطريق بين الناس في الآخرة لا في هذه الأرض وحدها ولا في التاريخ البشري على هذه الأرض في الحياة الدنيا وحدها [15، 1431/3 و15، 3/ 1558].

وفطَن الطباطبائي (ت 1402ه) لسياق السّورة ممّا جعله يُقرّر أنّها مدنيّة، قال:((سياق الآيات في السورة يعطي أنّها مدنية نزلت بعد وقعة بدر، وهي تقصُّ بعض أخبار بدر، وتذكر مسائل متفرقة تتعلق بالجهاد والغنائم والانفال ونحوها، وأمورًا أخرى تتعلق بالهجرة، وبها تختتم السورة))[9/6،16]، [5،17/ 251].

أولًا: الأفعال الكلاميّة المباشرة.

الإخباريات:

1- قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ آية: 10

قال ابن فارس: ((الباءُ والشِّينُ والرّاءُ أصلٌ واحدٌ: ظُهورُ الشَّيءِ مع حُسْنٍ وجمالٍ ،
ويقال: بَشَّرْتُ فُلَانًا أُبَشِّرُهُ تَبْشِيرًا، وذلك يكونُ بالخيرِ)) [251/1،1].

والاطمئنان: السكون[422/3،1] ، والنصر: إتيان الخير وإيتائه ، ونصَرَ اللّهُ المسلمينَ: آتاهمُ الظَّفَرَ على عَدُوِّهِم[1، 435/5]. فالآية المباركة إخبارٌ للمؤمنين بالبشرى والاطمئنان والنصر، والآية الكريمة معطوفة على قوله تعالى ﴿ **أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [الأنفال: 9] إذ استجاب الله سبحانه وتعالى لهم وهم يستغيثون، وأنبأهم أنّه ممدّهم بألف من الملائكة مردفينَ، ومع عظمة هذا الأمر ودلالته على قيمة هذه العصبة وقيمة هذا الدِّين في ميزان الله؛ إلّا أنّ الله سبحانه لا يدع المسلمين يَفهمونَ أنّ هناك سببًا يُنشئ نتيجةً، إنّما يردُّ الأمر كلُّه إليه سبحانه تصحيحًا لعقيدة المسلم وتصوره، فهذه الاستجابة، وهذا المدد، وهذا الإخبار كلُّ ذلك لم يكنْ إلّا بُشرى، ولتطمئنَ به القلوب، أمّا النصرُ فلم يكنْ إلّا من عند الله لا من الملائكة، هذه هي الحقيقة الاعتقادية التي يقررها السياق القرآني هنا، حتى لا يتعلق قلب المسلم بسبب من الأسباب أصلاً [3،15 /1483].

ويشتدُّ الفعل الكلامي ويعلو ويكتسب عظمةً في ضوء السياق الوارد بالنفي والاستثناء وما فيه من دلالة على التأكيد، زيادة على تكرار هذا التأكيد(ما جعله إلّا بشرى، ما النصر إلّا من عند الله) الذي يُعَدّ من المؤكِّدات القوية والفاعلة في الجملة العربية وهو بيان انحصار البشرى من جهةٍ، وانحصار حقيقة النّصر فيه، وأنّه لو كان بكثرة العدد والقوّة والشّوكة كانت الدّائرة يومئذٍ للمشركين بما لهم من القوّة على المسلمين على ما بهم من القلة الضّعف [16، 21/9].

وهذا ما قرّره الفخر الرّازيّ قَبْلًا، إذ أشار إلى أنّ الحصر في قوله تعالى ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ [الأنفال: من الآية: 10] المقصود التنبيه على أنّ الملائكة – وإنْ كانوا قد نزلوا في موافقة المؤمنين – إلّا أنّ الواجب على المؤمن أنْ لا يعتمد على ذلك؛ بل يجب أنْ يكون اعتمادُه على إغاثة الله ونصرِه وهدايته وكفايته؛ لأجل أنّ الله هو العزيز الغالب الذي لا يُغلب والقاهر الذي يُقْهَر ، والحكيم فيما ينزل من النّصرة فيضعها في موضعها [14، 494/15].

ونلمَحُ تكرار لفظ الجلالة (الله)، وكذلك (بشرى)، و(النصر) وما فيها من الترغيب وقوة في الظفر بالفوز العظيم، وإسناد النصر إلى الله تعالى لا لغيره يدل على عظمة هذا الأمر فهو لم يسنده إلى الملائكة كما

في الآية التي تقدمت هذه الآية، وكذلك ذِكْر لفظ الجلالة (الله) دون غيره من أسمائه الحسنى له من القوة على استجلاء دلالتي التفخيم والتعظيم، والاطمئنان والشعور بالثِّقة ببلوغ المحبوب((واستجاش في قلوبهم وجدان الإيمان والتّقوى)) [15، 1/ 330]، وهو خلاف الانزعاج.

فالمحتوى اللفظي لهذه الآية الكريمة ← ألفاظ (جعل، والله، وبشرى، والنصر، لام التعليل، تطمئنّ، والنفي والاستثناء، والتكرار، والسياق).

والمحتوى القضوي ← البشرى للمؤمنين بالنصر على المشركين، وهذا النصر من عند الله وحده.

والشرط التمهيدي ← إنّ الله سبحانه قادر على إنجاز هذا الفعل.

والقوة الإنجازية ← إدخال الفرح والسرور في قلوب المؤمنين والقضاء على التردد والتشكيك في النصر لقلة العدد.

والقوة التأثيرية ←الثواب والإحسان والجنة في الآخرة.

وفَطَنَ سيّد قطب للمحال التّداوليّ في النّص المبارك حينما صوّر بأنّها تُدار بأمر الله ومشيئته وتدبيره وقدرته، وتُسيَّرُ بجند الله وتوجيهه، وهي ((وهي شاخصة بحركاتها وخطراتها من خلال العبارة القرآنية المصورة المتحركة المحببة للمشهد الذي كان كأنّه يكون الآن)) [15، 3/1438].

2- قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ** ﴾: آية: 50

في الآية الكريمة فعلٌ كلاميٌ وإخبارٌ مباشرٌ للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حال المشركين حين تقبض أرواحهم الملائكة، والهول والفزع من هذا المنظر، ومعنى التوفي: الاستيفاء [18، 400/15]، أي استيفاء مدة الأجل، والذّوْقُ:((مصدر ذاقَ الشيء يذُوقه ذوقًا وذَواقًا ومَذاقًا فالذَّواق والمَذاق يكونان مصدرين ويكونان طَعْمًا كما تقول ذَواقُه ومذاقُه طيّبٌ والمَذاق طَعْمُ الشيء)) [18،10/111]. وذكر الراغب الأصفهاني أنّ الذوق هو وجود الطعم بالفم، واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب؛ لأن ذلك – وإن كان في التعارف للقليل – لكنه يستعمل للكثير، فخصّه بالذكر ليعمَ الأمرين، وكثُر استعماله في العذاب، نحو قوله تعالى: ﴿ ليذقوا العذابَ ﴾[النساء/56]، وقوله تعالى: ﴿وقيل لهم ذوقوا عذابَ النارِ﴾ [السجدة/20]، وقوله تعالى:﴿فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون﴾ [الأنفال/35]، ﴿ **ذُقْ إنّكَ أنت العزيز الكريم**﴾[الدخان/49] [19، 182].

لذلك فإنّ التعبير القرآني يرسم صورةً منكرةً للذين كفروا، والملائكة تستلُّ منهم أرواحهم في مشهد مهين؛ يضيف المهانة والخزي، إلى العذاب والموت.

عند مباحثة النصّ الكريم نجده تضمنّ ألفاظًا تدلُّ على ما تقدّم ذِكْره، فاستعمل أداة الشرط غير الجازمة (لو) وما تحمل من دلالة على امتناع وقوع الجواب لامتناع وقوع الشرط، والشرط يدل على القوة والتفخيم، وما قبلها من جارٍ ومجرورٍ (عليهم لو)؛ أي لرأيت منظرًا هائلًا، وأمرًا فظيعًا، وعذابًا شديدًا، وكذلك الفعل المضارع (ترى) مسبوقًا بأداة شرطٍ تنزّل منزلة الماضي؛ أيولو عاينت وشاهدت كيف تفعل الملائكة بالمشركين حال وفاتهم، فقد كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف، وإذا ولّوا ضربوا أدبارهم،

فلا جرم أنّ الله قابلهم بمثله في وقت نزع الروح [374/2،20]، [416/7،14]، وذكر الفخر الرازيّ وجهًا آخر وصفه باللطيف في ظلِّ معاينة السّياق المقامي بوصفه آلية من آليات التأويل التّداوليّ، قال: ((وأقول فيه معنى آخر ألطف منه، وهو أن روح الكافر إذا خرج من جسده فهو معرض عن عالم الدنيا مقبل على الآخرة، وهو لكفره لا يشاهد في عالم الآخرة إلا الظلمات، وهو لشدة حبه للجسمانيات، ومفارقته لها لا ينال من مباعدته عنها إلا الآلام والحسرات، فسبب مفارقته لعالم الدنيا تحصل له الآلام بعد الآلام والحسرات، وبسبب إقباله على الآخرة مع عدم النور والمعرفة، ينتقل من ظلمات إلى ظلمات))[14،15/ 494]. ثُمّ يتحول السياق من صيغة الخبر إلى صيغة الخطاب باستعمال الفعل الكلامي (ذوقوا)؛ ليردّ المشهد حاضرًا كأنّه اللحظة مشهودٌ؛ وكأنّما جهنمَ بنارها وحريقَها في المشهد وهم يُدفعون إليها دفعًا مع التأنيب والتهديد [15،3/ 422]، وهذا المشهد يُستَشْعَر في ضوء الحذف التداوليّ المُؤَدَّى بإضمار (نقول)، والتقدير: ونقول: ذوقوا عذاب الحريق

ومما يحسن قوله أنّ أداة الشرط (لو) قد عبّر القرآن الكريم في ضوئها عن وعيده، وهو أسلوب يهدف به القرآن إلى الإصلاح وإيقاظ العقول، وله مقاصدٌ تتمثّل في التأثير على أفكار المتلقّي وأفعاله، وجَعْله يخضعُ لأوامر الله عزّ وجلّ ونواهيه. فتعبير (لو ترى) يأتي في مقام التهويل وإبراز البشاعة ضمنيًّا وليس صراحةً ومع ذلك فإنّ هذا التضمين يُراد به زيادة التهويل بأكثر مما يدل عليه التصريح [21، 272]، فـ(لو) من أدوات الشرط التي لها فعل شرط، وقد حُذِف الجواب هنا للدلالة علية، أي لرأيتَ أمرًا عظيمًا؛ لأنّه حين يُصرّح بجواب الشرط يستطيع المتلقّي أنْ يستوعب صورته، ولكنْ يحدث حذف جواب الشرط، فيقترن لفظ (ترى) بلفظ (لو) فتصبح (لو ترى) ويبقى الشرط وملابساته ليَدِلَّ على الجواب، فيكون التعبيرُ حينئذٍ دالًّا على التهويل وتكبير المشهد، وهذا الأسلوب لا يكونُ إلّا لأعداء الله (عزّ وجلّ) [22، 41/5]، [21،272].

فالآية المباركة وما تضمنته من أفعال كلامية (ترى، يتوفى، يضربون، ذوقوا)، فضلًا عن استعمال الشرط والسياق التي وردت فيه هذه الأفعال دلت على قوة إنجازية، وفيها تهويل ووعيد.

تأسيسًا على ما تقدّم يمكن إبراز الشروط التي ينبغي توافرها في الفعل الكلامي كما يأتي:

المحتوى اللفظي ← الافعال (ترى، يَتَوَفَّى، يَضْرِبُونَ، ذُوقُوا) + أداة الشرط (لو) + السياق.

المحتوى القضوي ← إخبار النبي الأكرم بحال المشركين والملائكة تتوفاهم ومقاساة العذاب الأليم

القوة الإنجازية ← خوف المشركين وفزعهم وكذلك زيادة التهويل والإصلاح وإيقاظ العقول والتأثير على أفكار المتلقّي وأفعاله، وجعله يخضع لأوامر الله ونواهيه.

القوة التأثيرية ← الخزي والعار والعذاب الأليم في الآخرة.

التوجيهيات:

1- قال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾. من الآية: 1

قال ابن فارس: ((الواوُ والقافُ والياءُ: كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على دَفْعِ شَيءٍ عن شَيءٍ بغيره، وَوَقَيْتُهُ أَقِيهِ وَقْيًا، والوِقَايَةُ: ما يَقِي الشَّيءَ، واتَّقِ اللّهَ: تَوَقَّهُ؛ أي اجعلْ بيْنَك وبينَهُ كالوقايَةِ)) [1،6/131]، والصلاح: خلافُ الفسَادِ [1،3/303]، والطاعة: الإِصْحابُ والانْقِيادُ، وأَطاعَهُ بمعنى طاعَ لهُ [1،3/431].

جاءت هذه الآية المُباركة بعد أنْ وقع الخلاف بين المسلمين في قسمة الغنائم في الحرب، وساءت فيه أخلاقُ بعض المسلمين،إذ يرى كلّ فريق هو أحق بزيادة نصيبه من الغنائم من غيره، لذلك نزع اللهُ تعالى

القسمةَ من أيدي المسلمين وجعله إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقَسَّمَهُ رسول الله بينهم على السواء، هذا الحادث يلقي الضوءَ على افتتاح السورة بالسؤال عن الإنفال وعلى خطّ سيرها كذلك، فهم اختلفوا على الغنائم القليلة في الواقعة التي جعلها الله فرقانًا في مجرى التاريخ البشري إلى يوم القيامة، لذلك بيّنَ تعالى أنّه عليكم اتقاء عقاب الله ولا تُقدمُوا على معصيَةِ اللّه، واتركوا المُنازَعَةَ والمُخاصَمةَ بسبب هذه الأحوال، ونهاهُم عن مُخالفةِ حُكمِ الرّسُولِ بقوله: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ) ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بأنْ أمرهُم بطاعة الرّسولِ بقوله: (وأطيعوا اللّهَ ورسولَهُ) ثُمَّ بالغ في هذا التأكيد فقال: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [20، 194/2]، [15، 3/ 1463].

في ظلِّ النظر الباصر في النَّصِّ القرآنيّ نلمَحُ أفعالًا أمريّةًإنجازيّةً مباشرةً (اتقوا، أصلحوا، أطيعوا)، ولا يخفى التكرار الفعليّ الأمريّ في النّص الذي يدل على التعقيب الأمريّ المراد، فالتقوى العتبة الأولى في سُلَّم الإيمان الصحيح، ومعناها الخوف من الله عزّ وجلّ والسعي في رضاه، ثُمّ جاءت الأفعال الأمريّة متعاقبة بعد ذلك.

وتتجلى القوة الإنجازيّة للأفعال الأمريّة في النّصّ المُعايَن الذي يُشير إلى شروط القوة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة متمثلةً بالمحتوى اللفظي المؤدَّى بالأفعال الأمريّة المتعاقبة (اتقوا، أصلحوا، أطيعوا)، فضلًا عن ذكر المعمول لفظ الجلالة (الله) مع الفعلين (اتقوا الله)، وأطيعوا الله)، ولا يخفى العطفُ المُعايَنَ (ورسوله على الله عزّ وجلّ)، وكذلك الجملة الشرطيّة (إنْ كنتم مؤمنين) الذي تُعطي قوةً إنجازيّةً وتأثيريةً.

ويمكن بيان الشروط الواجب توافرها في الأفعال الكلاميّة في ضوء المخطط الآتي:

المحتوى اللفظيّ ← أفعال الأمر: (اتقوا، أصلحوا، أطيعوا)، لفظ الجلالة (الله)، والعطف (ورسوله)، والجملة الشرطيّة (إنْ كنتم مؤمنين)، والسّياق.

المحتوى القضوي ← الحث على خوف الله تعالى والسعي في رضاه، والتآلف والتحابب والإصلاح بين الأقارب فضلًا عن إطاعة الله ورسوله وامتثال أوامرهما.

المحتوى الإنجازيّ والتأثيريّ ← الوصول إلى أعلى مراقي التقوى والإصلاح وإطاعة الله ورسوله، وتتجلى القوة التأثيريّة في التمسّك بهذه التعليمات وكونها منهجًا سليمًا للمؤمنين.

2- قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾آية : 25

الآية المباركة تتضمن توجيهًا بمحاولة جعل المخاطب والمستمع يتصرف بطريقة تجعل تصرفه متلائمًا مع المحتوى الخبري للتوجيه وهو اتقاء الفتنة [12، 49]، وذكر الراغب الأصفهاني أنّ التقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، ثم يسمى الخوف تارةً تقوىً، والتقوى خوفًا بحسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يُؤثَم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأعراف/35][530/2،19]، والفتنة: الابتلاء والاختبار[1،4/ 377]. وذكر الراغب الأصفهاني أنّ أصل الفتنة إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار، وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنىً، وأكثر استعمالًا [19، 530/2]، والظُّلم: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعه تعديًا [1،3/366]، وهو يعني مجاوزة الحق الذي يجري

مجرى نقطة الدائرة، ويُقال فيما يكثر وفيما يقلُّ من التجاوز، ولهذا يُستعمل في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير [51/2،19].

الآية المباركة تُحذِّر الأمةَ القعود عن الجهاد وعن تلبية دعوة الحياة ، والتراخي في تغيير المنكر في أيّةِ صورةٍ كان، وتهددهم بفتنةٍ تشمل عامتهم وتفرق جمعهم، و تشتّت شملهم، و توعدهم بعذاب الله الشديد [386/3،15].

في ظلّ النصّ القرآني المتقدّم نلمحُ أفعالًا كلاميّةً مباشرةً تتمثل القوة الإنجازية فيها باستعمال (اتّقوا) وهو طلب بقوة وشدة وحضّ وتحذير، ولفظ (فتنة) ودلالتها على البلاء والامتحان والاختبار وفُسّرَت الفِتْنَةُ بالذنبِ، وكذلك إقرار المنكر والمُداهنة في الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد [23، 180/5]، و(تصيب) مسبوقًا ب(لا) الناهية الجازمة؛ والنهي طلبُ الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء [187،24]، واقتران الفعل المضارع بالنون المشدّدة ، فالنهي يدل على قوة وتأكيد وكذلك النون المشدّدة، وهو من المؤكِّدات اللغوية والفاعلة في الجملة العربية، فضلًا عن استعمال الاسم الموصول (الذين) إذ يدلّ على الإبهام مفسِّرًا إيّاه بـ(ظلموا) دلالة أنّ الظلم سيصيب الذين ظلموا دون غيرهم ، وقد أكّد ذلك باستعمال لفظ (خاصّة) الذي يدل على التأكيد ، فتعدد التأكيدات وتنوعها يدل على عِظَمِ الأمرِ وأهميتِه ووجوب التزام المخاطب به.

في ضوء النص القرآني المُعايَن نجد أنّه قد ترشَّحت منه قوىً إنجازيةً على وفق ما يأتي:

المحتوى اللفظيّ ← (اتقوا، فتنة، لا الناهية، تصيب، نون التوكيد، الذين، ظلموا، خاصة، السياق).

المحتوى القضويّ ← اتقاء المؤمنين وتخويفهم أنّ العذاب يشمل الظالمين لكنه لا يبعد أنْ يصيب غيرهم؛ لأنّ العذاب لو نزلَ لعَمَّ.

القوة الإنجازيّة ← جعل الخوف والحذر والوقاية في نفوس المؤمنين.

القوة التأثيريّة ← الثواب والجنة والفوز بالدرجات العلى للمؤمنين، والخزي والعار والإهانة للمشركين في الآخرة.

3- قال تعالى: ﴿ **لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾من الآية: 27

عند النظر إلى الآية المباركة نجد أنّها تحتوي على فعل إنجازيٍّ مباشر (لا تخونوا)، قال ابن فارس: ((الخاء والواو والنون أصلٌ واحد، وهو التنقُّصُ، يقال خانَه يخُونه خَوْنًا، وذلك نُقصانُ الوَفاء، ويقال تخوَّنَني فلانٌ حَقِّي، أي تنقَّصَني)) [231/2،1]. وورد بأسلوب النهي، والنهي: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الحَتْم والإلزام والاستعلاء وهي الدّلالة الرئيسة والمركزيّة له، وله صيغة واحدةٌ هي (لا) الناهية مع الفعل المضارع[320،25]، [178،24]، وعند تفحّص المعنى اللغوي للفعل (خان) نجده يدل على نقص الوفاء ، وذكر الراغب الأصفهانيّ أنّ ((الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة الأمانة، يقال: خُنْتُ فلانًا، وخُنْتَ أمانَةَ فلان)) [163،20] .

وخيانة الله تعالى في ضوء الآية المباركة تتمثل بتعطيل فرائضه، وعدم امتثال أوامره وفعل ما نُهي عنه في سرّ، وخيانة الرسول فيما استُحفِظ وعدم الاستنان بسنته، وخيانة الأمانات إسقاطها وعدم الاعتبار بها [17، 30/5] ، [355/2،20] .

ويمكن أنْ يكون النهي عن الخيانة ليس نهيًا متعددًا وإنّما نهيٌ واحدٌ متعلقٌ بنوع خيانة؛ هي خيانة أمانة الله ورسوله وهي بعينها خيانة لأمانة المؤمنين أنفسهم فإنَّ من الأمانة ما هي أمانة الله سبحانه عند الناس

كأحكامه المُشرّعَة من عنده، ومنها ما هي أمانة الرسول كسيرته الحسنة، ومنها ما هي أمانة الناس بعضهم عند بعض كالأمانات من أموالهم أو أسرارهم، ومنها ما يشترك فيه الله و رسوله و المؤمنون، وهي الأمور التي أمر بها الله سبحانه وأجراها الرسول وينتفع بها الناس ويقوم بها صُلْب مجتمعهم كالأسرار السياسية والمقاصد الحربية التي تضيع بإفشائها آمال الدين وتضلُّ بإذاعتها مساعي الحكومة الإسلامية فيبطل به حق الله ورسوله و يعود ضرره إلى عامة المؤمنين [16،9/ 55].

ويرى الفخر الرازيّ أنّ ما قيل في مدلولات الخيانة الواردة في النّصِّ المبارك كلّها داخلة فيها، لكن لا يجب قصر الآية عليها؛ لأنّ العِبرَة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [14،15/475].

وتأسيسًا على ما سبق نجد أنّ القوة الإنجازية للفعل الكلامي متأتيةٌ منألفاظ (لا + الفعل المضارع المكرر (تخونوا) والنهي عن خيانة (الله ، والرسول، والأمانات) وطلب الكف عن فعل الخيانة بشدة وقوة باستعمال (لا) الناهية والفعل المضارع المجزوم بعدها، فضلًا عن ذلك فإنّه لم يقل (لا تخونوا ربكم) وإنّما استعمل لفظ الجلالة (الله) وهو الاسم الأعظم، ولما له من قوة ورهبة في نفوس المؤمنين، زيادة على ذلك عطف الرسول والأمانات على الله سبحانه وتعالى، لما في ذلك من قوة وشدّة، وهو طلب المخاطب وتوجيهه للكفّ عن الفعل، وفيها يطابق العالم الكلمات [11، 90].

وبالنظر الباصر الى ما اشترطه جون سيرل في الفعل الكلاميّ نلمحُ ما يأتي:

المحتوى اللفظي ⟵ لا + الفعل المضارع المكرر (تخونوا) + الله، الرسول، الأمانات.

والمحتوى القضوي ⟵ عدم خيانة الله والرسول والأمانات، مع علمِ القبح بها.

والشرط التمهيدي ⟵ قدرة المخاطبين على نفي الخيانة (إنجازيّة الفعل).

وشرط الإخلاص ⟵ التأييد الإلهي ، والسّداد في منعهم من الخيانة.

والشرط التأثيري ⟵ الثواب والجنة لمن يمتثل للأمر والخزي والعار لمَنْ يعصي الأمر.

*** الالتزاميّات**

قال تعالى: ﴿**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾ من الآية: 12.

ألقى: طرح [18، 15/ 257]، والقَلْبُ: ما يَدُلُّ على خالصِ شَيْءٍ وشَرِيفِه، وسُمِّيَ قَلْبُ الإنسانِ بهذا الاسمِ؛ لأَنَّهُ أَخلَصُ شَيءٍ فيه وَأَرْفَعُهُ، وَخَالِصُ كُلِّ شَيءٍ وأشرفُهُ قَلْبُهُ [1، 5/ 17]، والرُّعْبُ: الخوفُ، وفيه دلالة على تعهد المتكلم والتزامه سبحانه وتعالى بإلقاء الخوف وانزعاج النفس بتوقع المكروه، وأصله التقطيع من قولهم: رَعِبَتِ السنامُ ترعيبًا إذا قطعتْه مستطيلًا كأنّ الخوف يقطع الفؤاد أو يقطع السرور بضده، وجاء رُعْبُ السيلِ الواديَ إذا ملأهُ كأنَّ السيلَ قَطَعَ السلوكَ فيه أو لأنّه انقطعَ إليه من كل الجهات [1، 5/ 17].

وتتجلى القوة الانجازية للفعل الكلامي(سألقي) في إسناد إلقاءِ الرُّعب إلى الله تعالى نفسه وحدَهُ ولم يسندْه إلى الملائكة ؛ لأنّ أولئك الملائكة المخاطبين كانوا ملائكةَ نصرٍ وتأييدٍ فلا يليقُ بقواهم إلقاءِ الرعبِ [26،9/ 282].

ونلمَحُ في النصِّ المبارك إشاراتٍ مُعجباتٍ في تجلّي القوة الإنجازيّة والتأثيريّة منها: استعمال حرف (السين) الذي فيه دلالة على التنفيس السريع والوسيع، بمعنى أنّ الإلقاء الآتي سيكون سريعًا لا فتورَ ولا تراخٍ فيه، وزيادة على ذلك فإنّ معنى الإلقاءُ الطرحَ وفيه دلالة على قوة المُلقي وسيطرته وسطوته وتمكنِّه، فضلًا عن ضَعْف المُلْقَى ووهنه، وإلقاء الرُّعب في القَلْبِ الذي هو أشرفُ وأكرمُ عضوٍ في جسمِ الإنسانِ؛ إذ به تُدركُ الأفهامُ، وبه تُعرَفُ الحقائقُ، وهو مصدر اطمئنانِ الإنسانِ وخوفِه، ومصدرُ فرحِ الإنسانِ وحزنِه، وكذلك استعمالُ الاسمِ الموصولِ (الذِّين) الذي يدلّ على الإبهام مفسِّرًا إيّاه بـ(كفروا) دلالة أنّ الإلقاء

سينصرف إلى الذين كفروا بفاعلية الله عزّ وجلّ ولا سيّما الذين تخاذلوا في نصرة الرسول والإسلام، فالسياق ينذر بهذا الإلقاء السريع، زيادة على ذلك (ال) الجنسية في (الرعب) التي تفيد تَعَدُّد حالاتِ الرّعبِ وتنوعها كـ(الخوف، والفزع، والموت، والخشية، وانزعاج النفس).

وتأسيسًا على معاينة النَّصِّ وتكشيف دلالاته نجد أنّ الآية القرآنية الكريمة تضمّنَت فعلًا إنجازيًا مباشرًا هو (الذم)؛ لأنّ الرُّعبَ خاطرٌ شيطانيٌّ ذميمٌ، وإنَّ خوارقَ العادات قد تصدرُ من القُوى الشيطانية بإذن الله وهو ما يسمى في اصطلاح المتكلمين بالإهانة وبالاستدراج [26، 282/9].

وإذا نظرنا الى ما قدّمه جون سيرل من شروط يجب توافرها في الفعل الكلاميّ نجدها قد تحققت في الآية القرآنية المُبارَكة، فالمحتوى القضوي هو (القاء الرعب في قلوب الكافرين)، والشرط التمهيدي متحقق هو أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على إنجاز الفعل وهو القديرُ المتعالِ، وشرط الاخلاص أنّ الباري مخلِصًا وصادقًا في انجاز الفعل، والقوة الإنجازيّة إلقاء الخوف والفزع في قلوب الكافرين، والقوة التأثيرية الخزي والعار في الآخرة. ويمكن بيان ذلك في ضوء المخطط الآتي:

المحتوى اللفظي ← السين، ألقي، الاسم الموصول(الّذين)، المفعول به المقرون بـ(ال) الجنسية (الرّعب).

المحتوى القضويّ ← إلقاء الرّعب في قلوب الكافرين والسياق منذر بهذا الإلقاء، والتقهقر في الإسلام والمسلمين.

المحتوى الإنجازي ← إلقاء الخوف والفزع في قلوب الكافرين.

المحتوى التأثيري ← الخزي والعار في الآخرة.

وأبصَرَ الفخر الرازيّ أنّ في النَّصِّ المُعَايَن نعمةٌ جليلة من نِعَم الله تعالى، وذلك لأنّ أمير أمْر النّفس هو القلب، فلمّا بيّن الله تعالى أنّه ربط على قلوب المؤمنين بمعنى: أنّه قوّاها وأذهب الخوف عنها، ذكر أنّه ألقى الفزع والشّدة في قلوب الكافرين [14، 463/15]، وهو حذف تداوليّ يُستَشْعَر بلحاظ السّياق الكلاميّ.

ثانيًا:الأفعال الكلامية غير المباشرة

يستطيع المتكلِّم أو المُرسِل أنْ يعبِّر عن قصده بحسب شكل اللغة الدّلالي مباشرةً بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريًّا، وقد يعدل عن ذلك فيلمِّح بالقصد عن مفهوم الخطاب المناسب للسياق؛ لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المستمع أو المُرسَل إليه، وهذا يؤدي إلى نتيجة هي مركزيّة السياق في منح القصد دلالته للتعبير عن القصد [27، 368].

إنّ الأفعال الكلاميّة غير المباشرة يُحدد معناها في ضوء تفسيرها الظاهريّ، أمّا قوتها، فتُحدّد بالتحقيق غير المباشر، اعتمادًا على الخلفية المعرفيّة المشتركة بين المتكلِّم والسامع، سواء كانت لغوية أو غير لغوية، زيادة على قدرة المستمع على الاستنتاج والتعقّل والتفكير، وقد فُسِّرَت هذه المسألة باللطافة والتأدُّب بوصفه سببًا أساسيًّا باطنيًّا لاستعمال الأسلوب غير المباشر، فهو قدرة يمتلكها المتكلّم والمستمع معًا، وتقود الأقوال المضمرة إلى عالم المجاز، فتنزلق الملفوظات إلى أقوال مضمرة تشي بالسخريّة، أو الإيحاء، أو الالتباس، أو غير ذلك ، فيتحقق للمتكلِّم قول شيءٍ يريد قوله، وقول آخر يريد أنْ يصلَ إلى المخاطب بصورة غير مباشرة [27، 368] ، [11، 127]،[12، 59]. ومن هنا تتجلّى مَزِيّة الأداء الكلاميّ، وتتفاضل الأساليب التعبيريّة.

ومن الأساليب غير المباشرة التي وردت في سورة الأنفال ما يأتي:

1- **الأمر:**

هو صيغة تستدعي الفعل، أو قول يُنْبِيءُ عن استدعاء الفعل من جهة غير المتكلِّم على جهة الاستعلاءِ، وله أربعُ صيَغٍ: فعل الأمر نحو (اكتبْ)، والفعل المضارع المقرون ب(لام الأمر) (ليكتبْ)، والمصدر النائب عن فعل الأمر (صبرًا في مجال الموت صبرًا)، واسم فعل الأمر (صَهْ بمعنى اسْكُتْ)، وقد تخرج صيَغُ الأمرِ عن معناها الأصليّ إلى معانٍ أُخَرِ تُفادُ من سياق الكلام، أو وفق قرائن تدلُّ عليها، كالإرشاد، والدعاء، والالتماس، والتمنيّ، والتخيير، والتسويّة، والتهديد، والتعجيز، والإباحة [25،1/318]، [28، 3/155]، [24، 178] .

ومما جاء فيه الأمر بمعناه غير المباشر، قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ**﴾ آية: 32.

كلامُ الكفّارِ في الآية المباركة هذا جارٍ مجرى القَسَم، فمعنى كلامهم: إنّ هذا القرآنَ ليس حقًا من عندك فإنْ كان حقًا فأصبنا بالعذاب، وهذا يقتضي أنّهم قد جزموا بأنّه ليس بحقٍّ وليس الشرط على ظاهره حتى يفيد ترددهم في كونه حقًا ولكنّه كناية عن اليمين وقد كانوا لجهلهم وضلالهم يحسَبُونَ أنّ الله يتصدى لمخاطرتهم، ولذلك سألوه أنْ يُمطِرَ عليهم حجارةً إنْ كان القرآنُ حقًا منه أمطر عليهم الحجارة وأرادوا أنْ يظهروا لقومهم صحة جزمهم بعدم أحقية القرآن فأعلنوا الدعاء على أنفسهم بأنْ يصيبَهم عذابٌ عاجلٌ إنْ كان القرآنُ حقًا منَ الله ليستدلوا بعدمِ نزولِ العذابِ، وهذا أسلوب من الجحود بليغ[20،2/217]، [26،9/332-333].

نَلمَح في النّصِّ المُبارَك إشارات مُعجبات تدلُّ على ورود الفعل الكلامي (أمطر، آتنا) بصيغة الأمر، وذكر ابن فارس أنّه لا يُقال (أُمْطِرَ) إلّا في العذاب [1،5/332]، والإيتاء: الإعطاء[1،1/51]، فالسياق التي وردت فيه الآية المباركة دالٌّ على أنّ فعل الأمر (أمطر، آتِ) ليس في معناهما الحقيقي، وإنّما يراد بهما معنًى غير مباشر وهو الدعاء، والسخرّة والاستهزاء والاستخفاف.

وتتجلّى القوة الإنجازية للفعل الكلامي غير المباشر في ضوء قوله تعالى (إذ) التي تفيد الظرفيّة وفيها دلالة على القوة، وكذلك استعمال لفظ (اللهم) وهو مركّبٌ من لفظ الجلالة (الله) الميم التي عِوضٌ عن حرف النداء (يا)، إذ لا يُجمَع بين الياء والألف واللام إلّا مع لفظ الجلالة خاصة وهو دليل على عظمة وتفخيم اسمه تعالى، فضلًا عن تعليق الشرط بحرف(إنْ) ؛ لأنّ الأصلَ فيها عدمُ اليقينِ بوقوعِ الشرطِ، فهم غيرُ جازمينَ بأنّ القرآنَ حقٌّ ومُنْزَّلٌ من الله بل هم موقنونَ بأنّه غيرُ حقٍّ، واليقينُ بأنّه غيرُ حقٍّ أخصُّ من عدمِ اليقينِ بأنّه حقٌّ، زيادةً على استعمال ضمير الفصل (هو) الذي يقتضي تقوّي الخبر، وتعريفُ المسندِ (الحقَّ) بلامِ الجنسِ يقتضي الحصرَ وذلك تعبيرٌ يحكي العربُ به أقوالَ القرآنِ المُنَوِّهَةِ بصدقه، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾ [آل عمران: 62]، وهذا الدعاء كناية منهم عن كون القرآن ليس كما يوصف به، للتلازم بين الدعاء على أنفسهم وبين الجزم بانتفاء ما جعلوه سبب الدعاء بحسب عرف كلامهم واعتقادهم [26،9/ 332]، وكذلك استعمال شبه الجملة الظرفية (مِنْ عندِكَ) الواقعة في محل الحال من الباري سبحانه وتعالى، إذ هم يطعنون ويجحدون كونه منزَّلًا من عندِ الله تعالى، فضلًا عن استعمال فعل الأمر (أمطر) الذي يدلّ على قوة شديدة متأتية من استعماله بصورة غير مباشرة بالدعاء على أنفسهم، وكذلك العطف الذي يعطي قوة للجملة العربية وزيادة في التأكيد (آتنا على أمطر)، والمراد بهذا الدعاء هنا التهكم والسّخرية وإظهار اليقين والجزم التّام على كونه باطلًا [29،3/ 57-58]، [30، 3/89، و29،3/395].

ومما يُزاد على ما تقدّم يمكن تجلية القوة الإنجازية للفعل الكلاميّ المُؤدّى بالأمريّة غير المباشرة في ضوء ما يأتي:

المحتوى اللفظيّ ← إذ قالوا، اللهمّ، والجملة الشرطية (إنْ كان)، وضمير الفصل هو)، والألف واللام الجنسيّة (الحقّ)، وشبه الجملة (من عندك)، الفاء، (أمطر، آتنا)، واو العطف، عذا، أليم.

والمحتوى القضويّ ← إنكار الكافرين وجحودهم بأنّ ما جاء به النبيّ محمد صلى الله عليه وآله منزلًا من الله تعالى، والدعاء على أنفسهم بالإتيان بالعذاب الأليم إنْ كان ذلك حقًا.

والمحتوى الإنجازيّ والتأثيريّ ← الخوف والحذر والفزع والهديد للكافرين، والسّكينة والاطمئنان للمؤمنين بأنّ ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقًّا وصدقًا، وكذلك الخزي والعار للكافرين في الآخرة.

2- **الاستفهام:**

طلب العلمِ بشيءٍ لم يكنْ معلومًا من قبلُ وله أدواتٌ كثيرةٌ منها: الهمزة، وهل، ومَنْ، وما، ومتى، وكيف، وأيّن، وأنّى، وهذه الأدوات قد تستعمل في المعاني التي وُضِعَت لها، كـ(مَنْ) للعاقل، نحو: مَنْ فتح الأندلس؟، وما لغير العاقل، نحو ما الكتابُ ؟، ومتى للزمان، نحو: متى السفرُ ؟، وقد تستعمل أدوات الاستفهام في غير معانيها؛ إذ يخرج الاستفهام إلى الأمر، أو النهي، أو التمني، أو غير ذلك بحسب السياق الواردة فيه[24،194- 198].

وقد جاء الاستفهام في غير معناه في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ [الأنفال: 1]، ومما يحسن قوله أنّ الاستفهام لم يرد بإحدى أدوات الاستفهام، لكنّه ورد بالجذر اللغوي (س أ ل)، قال ابن منظور: ((سألَ يَسْأَلُ سُؤَالًا وسَآلَةً ومَسْأَلةً وتَسْآلًا وسَأَلَةً)) [18،11/318]، وهو مَلمَحٌ فطنَ له الأصوليون؛ لأنّ الألفاظ لهامؤدًى واقعيّ في سنخ الوجود، ويترتب عليها قوة إنجازيّة وتأثيريّة في توجيه الحكم الشرعيّ، وقوله تعالى(يسألونك) وإنْ كان فعلًا كلاميًّا مباشرًا يُراد به الإخبارعمّن لم يسبق ذكرهم وحسن ذلك ههنا؛ لأنّ حالة النزول كان السائل عن هذا السؤال معلومًا معينًا فانصرف هذا اللفظ إليهم، ولا شك أنّهم كانوا أقوامًا لهم تعلق بالغنائم والأنفال وهم أقوام من الصحابة [14،7/355]. إلّا أنّ الغاية المرادة من السؤال هنا الاستعطاء، قال الفخر الرازي: ((إنّ قوله: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الانفال)؛ أي من الأنفال، والمراد من هذا السؤال: الاستعطاء على ما روي في الخبر، أنهم كانوا يقولون يا رسول الله أعطني كذا أعطني كذا))[14].

ومما يدل على أنّ المراد بالسؤال هنا الاستعطاء اختلاف المسلمين في غنائم بدر كيف تُقَسَّم، هل في المهاجرين لفقرهم، أو في الأنصار لنصرهم، أو فيهما معًا؟؛ وذلك أنّهم كانوا يوم بدرٍ ثلاثَ فرقٍ: فرقة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العريش تحرسُه وتؤْنسُه، وفرقة أتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لمّا انهزموا، فلمّا انجلت الحرب واجتمع الناس، ورأت كلّ فرقة أنّها أحقُّ بالغنيمة من غيرها، اختلفوا فيما بينهم ، فنزلت الآية [31، 2/331].

فالسؤال هنا معناه المباشر يتمثل بلفظ (يسألونك)، أي أستفهم وأسأل وطلب الفهم عن شيءٍ مجهول، وأمّا معناه غير المباشر فيتمثل في ضوء ما يحويه معنى سأل من دلالة مجازية على الاستعطاء، وهو سياقٌ إنتاجيٌّ توليديٌّ ترشَّح من التتابع الكلاميّ.

إذن فالآية : تدلّ على الإخبارٌ بحسب الفعل الكلامي اللفظي المباشر (يسألونك).

وتدلُّ على قوة إنجازية مستلزمة مقاميًّا متضمنة في القول هي الاستعطاء.

وتأسيسًا على ما تقدّم يمكن أنْ نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

المحتوى اللفظيّ ⟵ سأل، الواو (فاعل)، الكاف (مفعول به)، عن الأنفال.

المحتوى القضويّ ⟵ سؤال المؤمنين عن حقيقة الأنفال (الغنائم)، وسؤال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم عن قسمة هذه الغنائم فيما بينهم.

القوة الانجازيّة والتأثيريّة ⟵ الرضا والقناعة بما قسمه رسول الله من الغنائم على المجاهدين، وعدم التشكيك في استحقاق بعضهم دون بعض.

5. الخاتمة

بعد هذه الجولة النافعة الماتعة في ضوء مباحثة الأفعال الكلاميّة في سورة الأنفال، تحوصل البحث على جملةٍ من النتائج:

1- تُعَدُّ سورة الأنفال من سُورِ الجهاد، وفيها كثيرٌ من الأفعال الطلبيّة، فضلًا عن الحث على الجهاد ولزوم التمسّك بحدود الله عزّ وجلّ.

2- سعى البحث إلى معرفة بنية الفعل الكلاميّ في ضوء النّصّ القرآني ومكوناته وتحديد أنواعه، وأغراضه، ومستوياته.

3- أظهر البحث أنّ التداوليّة تهتم بدراسة اللغة في ضوء استعمالها، دون أنْ يُهمِلَ المعنى الذي يتحدد في ضوء السياق المقامي وتركّز على عناصر العمليّة التبليغيّة.

4- غلب استعمال الأفعال الكلاميّة الإخبارية في سورة الأنفال، إذ احتوت السورة على (42) فعلًا كلاميًّا إخباريًّا، فيما جاءت الأفعال التوجيهيّة بـ(12) فعلًا كلاميًّا، وأمّا الالتزاميات فقد جاءت ب(9) أفعال.

5- كشف البحث أنّ بعض الأفعال دالة على التوجيه وكانت بصيغة خبريّة وقد وردت بآيات تدلّ على أحكام الشريعة.

6- بيّن البحث أنّ استعمال الأفعال الكلاميّة بصورة غير مباشرة في سورة الأنفال كان الغرض منها الاستفهام، والدعاء.

7- أظهر البحث أنّ أكثر آيات سورة الأنفال وردت بغرض التهديد والوعيد والترهيب والفزع والخوف، زيادة على ذلك وردت آياتٌ كثيرةٌ بسياقٍ كان الغرض منه الحث على التقوى والطاعة والوصول إلى أعلى مراقي التقوى والصلاح وإطاعة الله ورسوله.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآله والطاهرين

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

6. المصادر

* القرآن الكريم.

1- أحمد بن فارس، " مقاييس اللغة "، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر، 1399هـ - 1979.

2- محمود أحمد نحلة، " آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2000م.

3- د. رمزي منير البعلبكيّ، " معجم المصطلحات اللغويّة"، بيروت، دار العَلَم للملايين، ط1، 1990 م.

4- نعمان بوقرّة، "الخطاب الأدبي ورهانات التأويل (قراءات نصيّة تداوليّة حجاجيّة) "، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1 ، 2012 م.
5- د. مسعود صحراوي، " التداولية عند العلماء العرب "، بيروت، دار الطليعة، ط1، 2005م.
6- آن بول، وجاك موشلار "، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) "، ترجمة: محمد الشيباني، بيروت، دار الطليعة، 2003م.
7- محمد محمد يونس علي، " مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب"، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004 م.
8- العيّشيّ أدراوي، " الاستلزام الحواري في التداول اللسانيّ "، المغرب، دار الأمان، ط1، 1432ه-2011م.
9- فرانسوا أرومينكو، " المقاربة التداولية"، مركز الإنماء القومي، (د. ت).
10- محاضرات في اللسانيات المعاصرة: د. خديجة بوخشة.
11- د. كاظم جاسم العزاويّ، " التداوليّة في الفكر النقديّ "، القاهرة، الشركة العربية المتحدة، ط1، 2016م.
12- د. نادية رمضان النجار، " الإتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي"، الإسكندريّة، مؤسسة حورس الدوليّة، ط1، 2013م.
13- د. صلاح إسماعيل عبد الحق،" التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد"، بيروت، دار التنوير، ط1، 1993م.
14- فخر الدين الرّازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ(ت 606ه)، " مفاتيح الغيب"، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420ه.
15- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ)، " في ظلال القرآن "، بيروت، دار الشروق، ط17، 1412ه.
16- محمّد حسين الطباطبائيّ (ت 1402هـ)، " الميزان في تفسير القرآن"، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.
17- أبو حيّان محمّد بن يُوسُف بن علي بن حيّات الأندلسيّ (ت 745هـ)، " البحر المحيط في التفسير"، تحقيق: صدقي محمّد جميل، بيروت، دار الفكر، 1420هـ.
18- جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور (ت 711ه)، " لسان العرب"، بيروت، دار صادر، ط3، 1414ه.
19- الراغب الأصفهانيّ (ت 425ه)، " مفردات ألفاظ القرآن "، 1424ه.
20- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشريّ جار الله (ت 538ه) " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل "، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407ه.
21- عبد الحليم حنفي" أسلوب الوعيد في القرآن الكريم "، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2000م.
22- السمين الحلبي أحمد بن يوسف بن عبد الدائم(ت 756هـ)،" الدّر المَصون في علوم الكتاب المكنون"، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.
23- الآلوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270هـ)، " روح المعانيّ في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانيّ "، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، ط1، 1415ه.
24- د. علي الجارم ومصطفى أمين، " البلاغة الواضحة "، طهران، مؤسسة الصادق، ط3، 1421ه.

25- السّكّاكيأبو يعقوب يوسف بن محمّد بن عليّ(ت 626ه)،" مفتاح العلوم"، ضبطه وعلّق عليه: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العميّة، ط2، 1987م.
26- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسيّ (ت 1393هـ)، " التحرير والتنوير"، تونس، الدار التونسيّة، 1984م.
27- عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، "استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة) "، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004 م.
28- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ (ت 745ه)، " الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، بيروت،المكتبة العصريّة، ط1، 1423هـ.
29- البيضاويّ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (ت 685هـ)، " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشليّ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418ه.
30- النيسابوريّ محمد بن حسين القميّ (ت 850ه)، " غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 1416ه.
31- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهديّ الحسنيّ الأنجري الفاسيّ (ت 1224ه)، " البحر المديد في تفسير القرآن المجيد "، تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ، القاهرة، 1419 ه.